

تركية في بلاد العرب

عقد محرر جريدة التيمس الانكليزية الشهيرة مقالة في مسألة شبه جزيرة العرب ترجمتها بالعربية جريدتنا الهدى وسرأة العرب الشهيرتين في نيويورك فأجبنا ان ننشر ترجمتها في المنار وهي :-

اهتم الناس كل الاهتمام بالمأساة العظيمة التي تمت في شبه جزيرة البلقان حتى انهم لم يكتفوا كثيرا للمعارك الصغيرة التي نشبت من مضي شهرين أو ثلاثة أشهر في بلاد العرب

وقد كانت بلاد العرب من مضي عدة قرون ارضا مجهولة مهجورة مرت حولها بحاوي التاريخ البشري دون أن تتوغل فيها ، وهي شبه جزيرة كبرى واقعة بين ثلاث قارات كبرى تنكسر امواج البحار العظمى على شواطئها من ثلاث جهات وكل سنة يسير على سواحلها العارضة الجرداء عشرات الالوف من الناس ولكنها بالرغم من ذلك لا يعرف الناس عنها أكثر مما عرفوه عن اشور في ايام اشور بانينال

ولكننا نسمع بعض الاحيان من وراء كتمانها الحرقعة اصداه ضئيفة عن قتال شديد ناشب هناك ، وترد على اسواق بومباي والقاهرة اخبار معارك شديدة بين محاربين مسدرعين وجيوش تهاصب بالسيوف وتتطاعن بالذوابل وتترشق بالسهام وتقاتل في الليل ويقع بينها حصار و خروج وهجوم ومباغظة

وهؤلاء الناس بالرغم من انهم لا يزالون على بداوتهم يتأثرون بمجرى الشؤون الحديثة كما اثبتت الحوادث الاخيرة ، فلما اتهمسر البافاريون على النمانيين في تراقية وارجموهم الى خطوط شتالجه قال الناس ان تركيا تقدر ان تنشئه مملكة عثمانية مجسدة في اسيا الصغرى ، وقد وافقهم على قولهم هذا القليلون الذين عرفوا الحقيقة ولكنهم ارتابوا في ما اذا كان الاتراك يقدرون ان يؤيدوا سلطتهم المتداعية في اطراف بلاد العرب ، فلم تكده معاهدة الصلح توقع في لندن حتى ناز العرب في اواسط شبه جزيرة العرب ولكن ثورتهم لم تكن منظمة اذ لم تسر كتاب من الجنود المنظمة على الطرق الصمدراوية بل وقع القتال بين ثلاث قليلة من فرسان العرب غير المدربين على أساليب القتال الحديثة وشرادم من الجنود النمانيين ذوي الملابس الرثة ، وقد اتهمسر العرب في الشهر الماضي على الجنود النمانيين واخرجوهم من شرقي بلاد العرب وبذلك ذهبت فتوحات مدحت باشا المتقلبة في بلاد العرب واصبحت الطرق الشرقية

الى مدينتي الاسلام المقدستين « مكة والمدينة » تحت رحمة زعماء العرب المتصمرين ولا يمكن القول بأن اندحار الاثراك في الحرب البلقانية احدث هذه الحركة في بلاد العرب فانها بدون تلك الحرب يمكن حدوثها لان سيطرة الاثراك على بلاد العرب لم تكن قط. قائمة على وكن منبع، فمن مضي مائة سنة قامت الحركة الوهاية في بلاد العرب واستولى الوهايون الخارجون على الدين الاسلامي (?) والحلابة الاسلامية على اكثر جهات شبه جزيرة العرب ونهبوا مكة مقدس المسلمين السنين، وكر بله بحجة الشيعيين، وهددوا مدينة دمشق، فبجز الاثراك عن اخذ ثورتهم فاستعانوا بـ محمد علي باشا خديوي مصر فقمع من نخوتهم، واخذ الحركة الوهاية. ومنذ الغارة للصرية الكبرى على بلاد العرب نال الهلال انتصارات قليلة في تلك البلاد حتى ان الخط الحجازي لم تستطع الحكومة العثمانية تأمينه الا برشوة القبائل العربية، فالخط الحديدي الممتد الى المدينة هو دائما تحت خطر

وقد نشبت بالامس ثورة طال عهدا في ولاية السمر جنوب مكة، وثورة اخرى اعظم منها في ولاية اليمن، ولا تزال نيران هاتين الثورتين كامنة تحت الرماد، اتفق الاثراك كثيرا من المال والرجال على اخذها فاجبحوا، ولذلك اخذ مركز الاثراك في تلك البلاد يتداعى يوما بعد آخر، ورؤية جنودهم المغلوبة المنطرحه على متن باخرة انكليزية في خليج بلاد فارس هي من الادلة الكثيرة الراضة على تداعي مكاتهم في شبه جزيرة العرب

هذا وان تجدد القوة العربية في شكلها الحاضر يرجع الى عهد يزيد قليلا عن عشرين سنين. اما منشأها الحقيقي فهو مبارك بن الصباح امير الكويت ذلك السباهي الشيخ والحارب المنيع الجانب الذي يتسلط قوته على اكثر جهات بلاد العرب مع انه لم يطعم بارض خارجة عن حدود مسقط رأسه

ويبان الامر ان المصريين بعد ان اخذوا الحركة الوهاية واسقطوا امراءها بني السعود اتقلت السيطرة على اواسط بلاد العرب الى ايدي امراء بني الرشيد الذين جعلوا عاصمتهم بلدة (حائل) في قلب شبه جزيرة العرب وحكموا هناك سبعين سنة وقد كانوا اقوياء الجانب اجرياه

وفي اوائل القرن الحاضر كان اميرهم المقيم في حائل ذا مطامع تتجاوز قوته فدعا نفسه « ملك بلاد العرب » وبشر الزحف على خليج فارس وهدد الكويت فخرج الامير مبارك بن الصباح من عاصمة امارته الصغيرة للاقامة وقاله فقائه وانصر

عليه، وتمقب رجاله القلوب حتى منتصف الطريق عبر بلاد العرب واستولى على حائل عاصمة ولايته وكان عرض الأمير مبارك من هذه القارة تأديب ابن الرشيد فقط لا يسطح حكمه على نجد ولذلك قتل واجعا، وعند رجوعه إلى الكويت أخذ ابن الرشيد على غرة فانه جمع جموعه وبلغت وجال الأمير مبارك ليلا وهم يهيمون مبريا صخريا وضربهم ضربة قاضية فقتل منهم خلقا كثيرا، والذين هجروا من الموت في هذه المعركة ترادف كل ثلاثة منهم على متن جواد ووصلوا سالمين إلى الكويت غير أن الأمير مبارك كان شجاعا جريئا فأضمر الشر لابن الرشيد ودعا أبناء أسرة السمود الوهاية التي استقلها المصريون وعالمهم وآواهم واعطاهم مالا وسلاحا وارسلهم إلى الصحراء العربية لاسترجاع مملكتهم المفقودة

وكانت لابن الرشيد عاصمتان الحائل في الشمال والرياض في الجنوب فزحف أحد شبان أسرة ابن السمود على الرياض وكان يجمع الرجال في مسيره حتى بلغ عددهم ثلاثة آلاف، وقد توقف بهم سرا في إحدى القرى القريبة من الرياض وهجم فتح الغلام الحالك على المدينة بخمسين فارسا باسلا لا يهاب الموت

وقد وقت هذه الحادثة من مضي عشر سنين وبعثوا الفرسان الحسين بن محمدت ولاية ابن السمود، فلهم عند وصولهم إلى باب المدينة جعلوا رئيس الحراس يفتحها لهم بمخدعة خفية، ولما دخلوا اغلوا المهاميز في شوا كل خيولهم واجتازوا اسواق المدينة بسرعة البرق وهجموا على قصر الحاكم ابن الرشيد وذبحوه، وعند الشقاق عمود الفجر دخل بنية رجالهم وجددوا الولاية الوهاية في تلك الجهة. وقد حصر ابن الرشيد ثلاث سنين في مدينة حائل، ولكن ابن السمود انتصر عليه في آخر الامر وقهره في اقليم فاسم على منتصف الطريق بين المدينتين

أما المعركة الأخيرة التي نشبت بين رجال ابن السمود من جهة ورجال ابن الرشيد وبعض الجنود الضمانية من جهة أخرى، فقد اسفرت عن انتصار الاولين وقتل ابن الرشيد بثلاثة سهام اصابه احدها في فخذه فسمره بسرج جواده، وقد ابلى رجال ابن السمود في هذه المعركة بلاه حسنا فكانوا لا يرمون سهما الا بعد معرفتهم انهم سيصمون به رجلا من اعدائهم

وكانت نتيجة هذه المعركة ان ابن السمود صار مسيطرا على كل نجد وتم له ما اراد من مضي عهد طويل من اخراج الأتراك من بلاد العرب وارجاعهم إلى سواحل خليج العجم، ولكن انتصاره هذا لا يدل على تجديد الحركة الوهاية الحقيقية، بل هو تجديد

موت لها، كما أنه لا ينوي اعلان جهاد جديد لان العالم لم يمد يري بمد تيارا سريما من القوات الاسلامية متدفقا من دمال بلاد العرب
 نعم ان عرب البادية هناك يتضامون ولكنهم غير متحدين اتحادا يستطيعون به
 ايقاد حروب وفتوحات، ولا تجول في صدورهم حمية دينية كافية لان تمكثهم من اعلان
 جهاد جديد. أو ارقام غير المسلمين بالقوة، ولكن تجدد قوتهم يطن خطرا على الاتراك،
 ولذلك ترى اصداق تركيا الخاصين لها يتسعون لها بنية صافية ان تصالح ابن السمود
 الذي يعتقد انه يميل الى مفاوضة السلطان بطاعة واحترام، فواحاحات الاحساء القليلة غير
 مفيدة تركيا في حين ان علاقتها الولاية بما حكم نجد تنفعا كثيرا، والامر الذي بهم تركيا
 اكثر من غيره في بلاد العرب هو ان تبقى لها السيطرة على مدينتي الاسلام المقدستين
 لحفظ اعتبارها وهي صاحبة الخلافة الاسلامية في عيون المسلمين، وخير ما يساعدها
 على ادراك غايتها هذه هو اتفاقها مع ابن السمود

وكان من الواجب عليها ان تكف عن ارسال الجنود الى اليمن، وتبني لها علائق
 ولائية مع امام صنعاء على قاعدة ان تسيطر على تلك الولاية تحت سيادتها، وكذلك يجب
 عليها ان تهي ثورة السببر بهذه الصورة فتسلط الادريسي على تلك الولاية تحت سيادتها
 ايضا. وبهذه الطريقة تكفي مؤونة ارسال كثير من المال والرجال الى تلك البلاد على
 غير فائدة، ولا تخسر حقوقا ارضية لا ينازعها اياها منازع في الوقت الحاضر، وتستطيع
 بعد ان يهدأ بالما من جهة العرب ان تصرف كل الانصراف الى المهام الحيوية التي
 لا تزال تنتظرها في آسيا الصغرى اه

(المار) خير ما في هذه المقالة خاتمتها، فهو النصح الخاص بالدولة العثمانية الذي
 سبقنا اليه غير مرة (وقد يستفيد القارئ المنتصح) والقسم التاريخي منها يشوبه شيء
 من الخطأ كقوله ان الوهابيين كانوا خارجيين على الدين الاسلامي والخلافة، فهذا
 خطأ فهم مسلمون متشددون في النسك بالاسلام، وجل ما عزى اليهم من الشذوذ
 كذب افترته السياسة وبعضه من الخطأ الذي اقتضته طبيعة القتال لانعالم المذهب -
 وكقوله ان مكة مقدس أهل السنة ومحجهم، وكر بلاء محج الشيعة. والحواب ان مكة هي
 محج جميع المسلمين، واما كر بلاء فليست محجبا واحدا لآحد وان كان يزورها الشيعة كثيرا
 وغيرهم قليلا، وما ذكره الكاتب من ان ابن سمود وامام اليمن والادريسي كلهم
 يودون الاستقلال في بلادهم تحت سيادة الدولة محج، وأصح منه قولنا ونصحنا قوله
 ان الواجب على الدولة ان تترك قتالهم، وتسطيم استقلالهم، وان كان هل يعقل هذا رجال
 الآستانة ويعملون به؟ الله أعلم